**ثنائية الذّات والمكان في شعر حبيب الصّايغ**

**قـــراءة في نصــوص "قــــصائــــــد عــــن الـــبحـــــرين"[[1]](#endnote-1)**

 **“فإنّه لكلّ جزء من الأرض روحانيّة علويّة تنظر إليه، ولتلك الرّوحانيّة حقيقة إلهيّة تمدُّها.” [محي الدّين بن عربيّ]­­­.**

 **المكان وأسئلة الذّات**

 في محاول للبحث عن إجابات لسؤال الذّات عن طريق توظيف المكان في المنُجز الشّعريّ، يعقد الشّاعر الإماراتي الرّاحل حبيب الصّايغ (1955-2019) في أعماله الشّعريّة الكاملة، مجموعةً من النّصوص تحت عنوان "قصائد عن البحرين"، جمع فيها ما يقارب من سبعة نصوص كلّها عن البحرين، وعن تفاصيل محدّدة فيها.

يعمد الشّاعر كثيرًا إلى البحث عن الذّات وإجاباتها في حيّزٍ ما، يحاول أن يجعله المرتكز الّذي يدور في فلكه، ليعيد تشكيله وفق رؤيته الكامنة في ذاته، والمكان له تعلّق غائر بالذّات الإنسانيّة، حيث إنّه الفضاء الّذي يجمع ذاكرة الإنسان، وتاريخه، وماضيه، ومن ثمّ فإنّ التّعلّق بين الذّات الإنسانيّة والمكان لا حدود له، لأنّ "المكان هنا هو كلّ شيء، حيث يعجز الزّمن عن تسريع الذّاكرة ... إنّ الإنسان يعلم غريزيًّا أنّ المكان المرتبط بوحدته مكانٌ خلّاق"[[2]](#endnote-2).

وهنا تتشكّل العلاقة الجدليّة بين الذّات الشّاعر والمكان، فالشّاعر بما أوتي من قدرة خلّاقة على تجاوز أطر التّعبير السّائدة، يعيد تشكيل ذلك المكان ليجعل منه علامة دالّة على فلسفته، ورؤيته، والملجأ الّذي يجد فيه إجابات الوجود كلّها، فضلا عن أنّ المكان هو الحقيقة الظّاهرة الّتي تربط الشّاعر بواقعه، وتجعله منجذبا نحو تفاصيل الحياة، ضمن إطار تخييليّ شعريّ ثرّ.

وقد يمتدّ ذلك التأثير المكانيّ الجماليّ، ليصل إلى خارج حدود المكان الخاصّ للشّاعر، بمعنى أنّ ثمة أمكنةً أخرى قد تكون لها خصوصيّة ذاتيّة في كيانه، مغايرة عن تلك القريبة منه الملتصقة بوجدانه، كوطنه أو المواطن الّتي عاش فيها الشّاعر مدّة طويلة، وبحسب محي الدّين بن عربيّ، “فإنّه لكلّ جزء من الأرض روحانيّة علويّة تنظر إليه، ولتلك الرّوحانيّة حقيقة إلهيّة تمدُّها.”[[3]](#endnote-3)، على أساس أنّ للأماكن سماتٍ متقاطعة، يذكّر بعضها ببعض، ويشير بعضا إلى الآخر، فيشعر الإنسان بحميميّة قريبة حتّى لبعض الأماكن الغريبة عليه، أو الّتي لم يعش فيها أصلا، إنّ "كلّ الأمكنة المأهولة تحمل جوهر فكرة البيت"[[4]](#endnote-4)، بل لن نُبعد النّجعة لو قرّرنا أنّ هناك أماكن لم يزرها الشّاعر، أو لم يرها، قد تحتلّ من ذاته مساحاتٍ قريبة إلى روحه، "إنّنا نملك تصوّرًا ثقافيًّا عن وجود أمكنةٍ أخرى في العالم، قد نتمكّن من رؤيتها وقد لا نتمكّن، فهي تتقاطع في تصوّرنا مع المكان المعروف، وقد ينتقل المكان من مستوى المجاز إلى المستوى المرئيّ، حيث نذهب أو نضطرّ للذّهاب إليه"[[5]](#endnote-5)، وما نراه عند شاعرنا الصّايغ، أنّه خصّص كتابة مجموعة النّصوص هذه لبلد لم يعش فيه، وليس له من نصيب فيه سوى زيارات عديدة، وعلاقات صداقة أو نسب،.

**ذات واحدة، ومكانٌ آخر**

 إنّ التّشابه والتّشابك الجذريّ بين بلد الشّاعر الأصليّ (الإمارات)، وبلد النّصوص (البحرين) هو المفتاح الأوّل الّذي نفتح به باب القراءة لتلكم النّصوص، فالقواسم المشتركة بين البلدين، تاريخيًّا، ودينيًّا، ولغويًّا، وجغرافيّا، وموروثًا شعبيًّا، يؤصّل لمنطقيّة الأمر، فالبَلَدَان يحملان جميع السّمات المتشابهة، الّتي تجعل الحميميّة متشابهة، والشّاعر قد كتب نصوصًا عن الإمارات بلا شكّ، لكنّه في تعاطيه مع نصوص عن البحرين فإنّه يحاول أن يؤسّس بُعْدًا جديدًا للتّعبير عن (ذاته) ضمن جغرافيّة أخرى، لأنّ اختلاف الأمكنة سيؤدّي حتمًا إلى تغاير الرّؤية، واتّساع الدِّلالة، وهذا هو عين الجدليّة الّتي تحكم الشّاعر بالمكان، في إطار من التّعقيد المتعدّد الأبعاد، القائم على عدّة آليّات يستخدمها الشّاعر للإفصاح عن ذاته.

ثمّة مظهر مضيء يبرز عند الشّاعر من خلال تناوله موضوع البحرين، فهي بالنّسبة له هي مكان آخر للأمل وبناء الإنسان، وتشكيل كرامته، والشّاعر يتّكئُ على إنسانيّة الإنسان، حين ييمّم شطر البحرين، هذا ما نجده في قصيدة (سَفَر)، الّتي تتمحور حول شخص اسمه (خلفان)، يسعى بشغف واجتهاد للسّفر إلى البحرين، ويتساءل عن أجرة ركوب البحر إلى البحرين:

قبل رحيل البحر

أصادف خلفان يسامر عمّال الفرضةِ

يسأل ربّانًا ضخم الجثّة

عن أجر التّحميل إلى البحرينْ

عبر البحر إلى البحرينْ

أصادف خلفان يسامر ركّاب اليوم

عن الأسعار

السّكّر مرتفعٌ والرّزّ شحيح

إلّا في البحرين

عبر البحرين إلى البحرين

أصادف خلفان يحاول أن يمسح

عن إصبعه الإبهام الحبرَ الأزرق

أختام جواز السّفر

ازدادت عددا

عبر البحر إلى البحرين

أختام

نسور

وطوابع

أسئلة

عبر البحر إلى البحرينْ[[6]](#endnote-6).

هذا النّصّ يشي بوضوح بأنّ البحرين تفترق عن أيّ مكان آخر بأنّ كلّ شيء فيها رخيص، السلع الاستهلاكيّة اليوميّة الّتي يحتاجها الإنسان البسيط، الّذي لا يمكنه العيش بدونها، هناك هي رخيصة أكثر من أيّ مكان. والفكرة هناك تدور حول السّكون والوداعة الّتي يطمح الإنسان إليها، الكرامة الّتي سيشعر بها الإنسان حين يسكن البحرين، وليس بالضّرورة أن يكون المعنى الظّاهر فعلا هو المقصود، بقدر ما أراد أن يخبر المتلقّي أنّ البحرين أرض الكرامة، والدعة، والسّعة، ولعلّ هذا هو المعنى المتوارد منذ آلاف السّنين عن البحرين، أنّها أرض الخلود، وأرض الحياة.

ولافتٌ هنا الجملة الّتي كرّرها الشّاعر أربع مرّات: "عبر البحر إلى البحرين"، فهذه الجملة المكتظّة بتفاصيل المكان، يُبرز الشّاعر فيها مكانين، هما (البحر) و(البحرين)، فالبحر رمز للخوف، وللألم، وللمجهول، بينما البحرين هي رمز لما هو ضدّ ذلك، هذا التّكرار الملحّ، والمقابلة المتكرّرة، هي نوع من إلحاح الذّات على رغبتها في التّحرّر من ذلك الاضطراب المخيف، والتّوجّه نحو الوداعة والتّنفّس العميق، وكأنّ الشّاعر يحاول أن يلخّص رغبته الكامنة في تلك العبارة، بل في النّصّ كلّه، إنّ هذا توسّعٌ في التّرميز الذّاتيّ لدلالات الحريّة الّتي يريد الشّاعر أنّ يقدّمها إلى المتلقّي.

**عتبة العنوان**

ثلاثة من النّصوص السّبعة كانت معنونةً بأسماء أماكن محدّدة في البحرين، وهي: المنامة، وعين عذاريّ، وجزيرة النّبيه صالح، ونصّ واحد يحتمل أن يكون إشارة إلى مكان أو كيان، هو نصّ "أسرة الكُتّاب والأدباء"، بالنّسبة لهذا الأخير فإنّ خصوصيّة الكيان متداخلة مع خصوصيّة المكان، وأسرة الأدباء والكُتّاب البحرينيّة هي كيان أدبيّ يعدّ الأعرق في المنطقة، وقد تشكّل نتيجة حراك ثقافيّ طويل بدأ منذ مطلع القرن العشرين، وبالتّحديد منذ أن أُنشِئ أوّل نادٍ ثقافيّ في البحرين وربّما في المنطقة عام 1913 وهو نادي إقبال أوال، وشاعرنا أحد روّاد الحركة الأدبيّة في الإمارات العربيّة المتّحدة وفي منطقة الخليج، وقد ترأّس اتّحاد كتّاب وأدباء الإمارات، ومؤخّرا شغل منصب الأمين العامّ للاتّحاد العامّ للكتّاب والأدباء العرب، ومن هنا تبرز العلاقة الوامقة بين هذا النّصّ وذات الشّاعر، بيد أنّ نصّ "أسرة الكُتّاب والأدباء" يشي بمضامين أكثر عمقا وامتدادا، حيث يقول:

آه لو كنتُ لبستُ ثياب البحر

حتّى أصطاد الأسماك الحمراء

وأجمع ما شئتُ من الأصداف

كي أبني بيتا وحديقة[[7]](#endnote-7).

هنا تتأكّد الرّؤية المكانيّة وتتّسع، فالبيت والحديقة هي إشارة صارخة إلى المكان، وإلى الدّعة، وإلى السّكون، وإلى القرب الرّوحيّ، فالأسرة بالنّسبة لذاته هي بيته، وهذا البيت مكوّن بناؤه من: ثياب البحر، والأسماك الحمراء، والأصداف، وكلُّها عناصر تتداخل مع تضاعيف البنية البحرينيّة الّتي شكّلت الأصالة والثّقافة في آن واحد.

أمّا النّصّ المعنون "بالمنامة"، فتلك هي مكان العاصمة البحرينيّة، حيث تغزّل الشّاعر فيها كما يتغزّل في المرأة:

سأشتري عقدًا من الّلؤلؤ

أو عقدًا من النّخيل

من أجل عينها الّتي تقول

وعينها الأخر الّتي .. تقول[[8]](#endnote-8).

التّرميز إلى المكان بالمرأة قضيّة متواردة في الشّعر العربيّ، فالمرأة بوصفها الملاذ الرّوحيّ للرّجل، والمكان الّذي

يسكن إليه، احتلّت حيّزًا إشاريًّا كبيرًا في العديد من المواضيع والأفكار والأبعاد لدى الشّاعر، وحين يرمز

الشّعراء إلى المكان بالمرأة فإنّهم يلوذون به كما يلوذون بالمرأة، وهذا سرّ التّعلّق بين المكان والمرأة، "وتناول المرأة في الشّعر العربيّ قديمه وحديثه هو الخطّ الأوّل لمحاولات التّعبير عن الآخر الأنثويّ، أو المكمّل الآخر الّذي يمثّل الأنا الأخرى بكلّ امتداداتها ورمزيّتها المجاورة للذّات الذّكوريّة، بل هو توسيع لأفق التّداول مع المرأة خارج الدّائرة الجنسيّة، وإسقاطُ مجالاتٍ متخيَّلة بآفاق واسعة، وعريضة كانت المرأة هي المؤسّس الأوّل لها وربّما الأوحد في بعض التّجارب"[[9]](#endnote-9)، ولذلك كان تمثيل المرأة بالمكان من أهمّ خصائص رمزيّاتها، وهذا ما يفسّر استهلال الشّاعر الجاهليّ حينما كان يصدّر نصوصه بذكر المرأة ممزوجًا بالوقوف على الأطلال، لأنّ المكان يذكّره بالحبّ والحنين والماضي واللّقاء والوصال، وجميعها تعلّقات متّصلة بالمرأة، وتداخل صورة المرأة بالأرض والمكان أمرٌ متعاقب ومتوافرٌ في الشّعريّة الإنسانيّة بشكل عامّ، حيث يُعامَل الوطنُ معاملة الأنثى، ويُخاطَب المكان بحميميّة المرأة، وربّما لذلك علاقة بمدى السّكون الرّوحيّ المتقاطع عند كلا الطّرفين، فكما أنّ المرأة هي راحة وصفاء لذات الإنسان، فكذلك الوطن، ولعلّ هذا ما أشارت إليه الآية القرآنيّة: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[[10]](#endnote-10) ، حيث وصفت الآيةُ العلاقة بين المرأة والرجل بالسّكون والرّاحة والطّمأنينة، وهي المشاعر ذاتها الّتي تنتج جرّاء قرب الإنسان من وطنه، أو من المكان القريب إلى روحه، وعلى ذلك فمقاربة المرأة بالأرض والمكان تكاد تكون مسألة فطريّة.

ونجد الشّاعر أيضًا يضع المرأة في مقام المكان بشكل أكثر مباشرة، في قصيدته (خصوبة) الّتي يقول فيها:

تكادُ أن تُلمس في الأرضِ

وفي مدارس سافرة قديمة

تكاد أن تُشمّ في امرأة

كأنّها الهواء، وامرأة

كأنّها الرّئة[[11]](#endnote-11).

هنا، يشي العنوان بعظمة النّماء (خصوبة)، ونجد كيف أنّ الشّاعر ربط هذه الخصوبة بعنصرين هما (الأرض) و(المرأة)، وهما قمّة العطاء والولادة والتّخلّق، وكيف أنّ الخصوبة والنّماء عنده ليس في ما هو ماديّ وحسب، لكن نجده في ذلك العطاء المعرفيّ، والنضج الفكريّ والثّقافيّ، ومرّة أخرى يكون المكان هو واهب الخصب والحياة والجمال والأمل.

ونقف بعد ذلك على نصّ "عين عذاريّ"، ذلك المكان المتخم بالتّداعيات الرّمزيّة، والمُحاط بالأساطير والقصص الشّعبية، يقول فيه:

كنتُ أراها تجري في لوز البحرين

في حلوى البحرين

في باباي البحرين

كنتُ أراها تجري في صندوق أبي

حين يعود من البحرين

كنتُ اراها[[12]](#endnote-12).

وعين عذاري عند أهل البحرين بل لدى أهل الخليج العربيّ كلّهم ليست مجرد عين ماء عادية، لكنها تمثّل المعنى الاجتماعيّ والحضاريّ والبيئيّ، الّتي كانت تمدّ أهل البحرين بالماء العذب، وكانت جنّةً مكسوّة بالأشجار، ومحاطة بالنّخيل الكثيف، تغزوها أنواع كثيرة من الطّيور المحليّة والمهاجرة، عين عذاريّ مكان متخم بالأساطير والقصص والذّاكرة الجماعيّة والفرديّة، وبالنّسبة للشّاعر كان كلّ شيء خاصّ بالبحرين (حلواها الخاصّة، فاكهة الباباي المميّزة) يذكّره بالمكان، بعين عذاري، الّتي ترمز إلى الرّيّ والخصوبة والنّماء، وترمز إلى البحرين، والشّاعر هنا يربط ذلك المكان المُفعم بتلك الدِّلالات وبين أبيه، وذكريات أبيه، وصندوق أبيه، كان إذا جاء إلى البلد من البحرين يحمل في صندوقه عين عذاريّ، وهنا تبرز الحميميّة التّاريخيّة بين الشّاعر والبحرين، حينما تحلّ داخل الذاكرة عن الأب ومتعلّقاته.

ثمّ يأتي نصّ (جزيرة النّبيه صالح) الّذي يقول فيه:

حين جاء النّعاس إلى بابها

وثب البحر من خلف أهدابها

في اتّجاه البدور

قلت كلّ شفاهي،

وكلّ مسامات جلدي نذور[[13]](#endnote-13).

سمّيت جزيرة النّبيه صالح بذلك، نسبة إلى وجود ضريح فيها لأحد الأولياء الصّالحين يسمّى النّبيه صالح، وكان النّاس في البحرين ييمّمون شطر ذلك الضّريح ليعقدوا النّذور ويتبرّكوا به، فأصبح ذلك المكان رمزًا لتحقيق الأمنيات والرّغبات، وصارت الجزيرة بالنّسبة للشّاعر ملجأَ أحلامه، فرهن لها شفاهه وأمنياته ومسامات جلده.

**الذّات/المكان/الطّبيعة**

مجمل النّصوص المكتوبة استخدمتْ رمزيّات الطّبيعة بوصفها عناصر يستمدّ منها الشّاعر جماليّات موحية، وهي تحمل في طيّاتها دلالات رمزيّة عميقة، إنّ خلف كلّ عنصر من عناصر الطّبيعة فضاءات من الدّلالات المفضية إلى مساحات تلامس ذات الشّاعر، وهي تُسهم كذلك في بناء الصّورة الشّعريّة الكُبرى لدى الشّاعر وإغنائها، حيث تصبح الرّموز متّحدةً مع مدلولاتها، لا يمكن إدراك المرمى من الصّورة دون الغوص في متلازماتها، " فالرمز ثريُّ الدّلالة، منعدمُ القرين، لا يشتغل مفردًا ضمن ثنائيّة، ولا يقوم بوظيفة الإخبار. أما الاستعارة فإنّها بعكس ذلك، ولأجل هذا كان الرمز أعلى منها، لأنّه يؤسسُ العالم ولا يعكسه."[[14]](#endnote-14)

والعناصر الّتي استخدمها الصّايغ في نصوصه عن البحرين تعبّر عن البحرين بتفاصيل دقيقة، لها إشاراتها الخاصّة بالبيئة البحرينية المتّحدة مع البيئة الإماراتيّة بلا شكّ، والمتّصلة بذات الشّاعر نفسه، فالبحر وتوابعه من عناصر لا يكاد يغادر مجمل نصوصه، وحيث إنّ البحر له من رمزيّاته ما يدلّ على العمق، والفضاء الفسيح، و له من الثّنائيّات المتضادّة ما له، إلّا أنّ البحر له من تجربة الشّاعر ما يضفي على دلالاته خصوصيّة له، لذا فإنّنا نرى الصّايغ قد استخدمه ليرمز إلى عدّة تفاصيل، فقد رمز به إلى البناء والتّكوين، كما في قصيدة (أسرة الأدباء والكتّاب)، وذلك من مفهوم أنّ البحر كان وما يزال مصدر الرّزق والعيش والبناء في حياة أهل الخليج، ومرّة أخرى يستخدمه بوصفه رمزًا للتفاؤل والانطلاق في عوالم النّور، كما في قصيدة (النّبيه صالح)، وذلك أيضًا من مفهوم ما يُفضي إليه البحر من اتّساع في الأفق، وبوصفه جالبا للغناء، وتارة يستخدمه بوصفه معبّرًا عن الخوف والقلق والمجهول، كما في العبارة المتكّررة: "عبر البحر إلى البحرين" ضمن قصيدة (سفر)، وذلك من مدلول المخاطر الّذي تحيط بالبحر، وبمن يرتادونه، وأيضا من خلفيّة الحكايا الخرافيّة الكثيرة الّتي تجعل من البحر عالما مليئا بالغموض والمخاوف والمجهول.

إنّ هذا التّنوّع في استخدام رمز البحر هو تضمين لما يعنيه البحر لأهل الخليج عامّة، ومن ثمّ ما يعنيه له هو شخصيًّا، والبحرين من خلال لفظة اسمها، كأنّها تجمع الأبحر كلّها، بكلّ معانيها وتفاصيلها ودلالاتها، وفيها يجد الصّايغ جوانب كثيرة من ذاته وإجاباتها.

هذا بالإضافة إلى رموز الطّبيعة المتعلّقة بالبحر، كالأسماك، والأصداف، والّلؤلؤ، وواضحٌ أنّ تلك الامتدادات تشير إلى سيطرة البحر، والبحرين على المشهد الذّاتيّ عند الشّاعر.

ويلفت انتباهنا رمز (النّخلة) الّذي ذكره في قصيدة (المنامة) حين قال: " سأشتري عقدًا من الّلؤلؤ، أو عقدًا من النّخيل، من أجل عينها .. "، وللنّخلة لأهل البحرين والخليج عامّة موقع مهمّ من حياتهم، فإنّها العنصر المُفضي إلى الإحساس بالرّاحة والأمان والفرحة والغبطة، بل هي ومضة الخير والعطاء والنّماء وسط البيداء القاحلة، يجد فيها الشاعر الخليجيّ راحته وأمانه من قفر الصّحراء ووحشتها ووحشيّتها، ولذلك فإنّ تعلّقه بها أشبه ما يكون بتعلّقه بمكوّنات الحياة برمّتها، وكأنّها السّلاح الّذي يواجه به الشّاعر جنود الصّحراء: الخُضرة في مواجهة الصّفرة والقحول، والرُّطَبُ في مواجهة المجاعة والعطش، وظلّ السّعف في مواجهة حرارة الهجير، بل إنّها تماثل المرأة في نظره، فلا يجد العطف والحنان إلاّ في أحضانها، والأمر نفسه عند فراق النّخلة، فهي فراق للحبيبة، فيكون الأمر ضياعًا وتيهًا واضطرابًا.

إنّ استحضار رمز النّخلة يقود إلى التّفتيش عن مساقات الدّلالة المرتكزة في المجال الحركيّ والتّاريخيّ لها، ويسير نحو التّفكّر الوجدانيّ في معنى الصّمود والوقوف بشرف وقوّة وصلابة أمام المدّ العمرانيّ الإسمنتيّ القاسي الّذي قتل كلّ معاني العطاء والنّضارة والحبّ والأفق الممتدّ، ومن ثمّ فإنّ الشّاعر "يظلّ يحرّك النّخلة كلفظة لها بُعد إشاريّ واحد ذو دلالة رمزيّة ضيّقة هو ما تعنيه أو تدلّ عليه أو ترمز إليه، وهو الوطن، أو الشَّعب دائمًا. ولأنّ النّخلة تتحرّك لفظةً لغويّة أو إشاريّة أو رمزيّة ضيّقة، أي مطابقة لصورة الواقع، فإنّها تظلّ محتفظة بكلّ ما حولها ويتّصل بها من ذلك الواقع الّذي تتكامل معه وبه مشهدًا طبيعيًّا ذا بعد واقعيّ"[[15]](#endnote-15)، ومن ثمّ فإنّ تجربته الفنّيّة تبقى ملتصقة بالواقع، فتكون النّخلة هي البُعد الواقعيّ الجميل الّذي يتوق له الشّاعر ويحاول استحضاره من ذاكرته ووعيه الدّاخليّ، إزاء الواقع المرير الّذي يفرض نفسه بقسوة وعنف، وهي الخضراء الجميلة الّتي تجعل من المكان بهيًّا حالمًا جميلا يحسُن المُقام فيه والرّكون إليه.

وفي قصيدة (يقظة)، يحشد الشّاعر مجموعة أخرى من رموز الطّبيعة، يقول:

حين يغادرنا جيشُ الّليل

يتسلّل ضوء الشّمس إلى العين

يدخل من باب البحرين[[16]](#endnote-16).

ينفتح هذا النّصّ على رموز أخرى من الطّبيعة، وبالتّحديد استخدم ثنائيّة متضادّة بين (اللّيل) و(ضوء الشّمس)، هذه المقابلة في الدِّلالة تؤكّد أنّ ذات المكان الّذي يحدّثنا عنه الشّاعر أي (البحرين) هي منبع للتّنوير، وإشعاع للفكر، وقد جعل هذا النّور يتسلّل من باب البحرين، وهذا مكان آخر له دلالته، فباب البحرين هو مَعْلم من أهمّ وأشهر وأقدم معالم البحرين، بل هو صورة عنها هنا، فكما يدخل أيّ شيء من خلال باب البحرين، يدخل كذلك النّور، فالبحرين حاضنة، وجامعة، وواجهة للنّور.

إنّ الشّاعر حين يستخدم أيّ عنصر أو مظهر من مظاهر الطّبيعة "يريد أن يخبرنا عنه بشيء ما، وقد يكون هذا الشّيء ملاحظة أو شعورًا نشارك نحن فيه الفنّان، ولكنّه غالبا ما يكون اكتشافا أصيلا حقّقه الفنّان، ويريد أن يوصلنا إليه"[[17]](#endnote-17)، وهذا ما حقّقه الصّايغ في استثمار ثنائيّة النّور والظّلمة على نحو ما ذكرنا.

إنّ تجربة حبيب الصّايغ في قصائده عن البحرين تعدّ تجربة ناضجة، استطاع من خلالها أنّ يجعل من ذلك المكان الّذي يفترق عن مكانه/موطنه الأصليّ الإمارات، مكانا آخر موازيًا لذاته، واستطاع أيضًا من خلال أدواته الشّعريّة أن يضع المتلقّي في دائرة من التّساؤل عن أيّ المواطن كان موطنه، وأيّ الأماكن هو مكانه الأوّل، وهذا ينمّ عن الشّاعريّة القديرة الّتي يتحلّى بها شاعرنا، كما أنّه برع في تأكيد فكرة أنّ الأمكنة جميعها يمكن أن تحدث ذات التّعلّق الّذي يُحدثه المكان الأصليّ، أو قريبا منه.

1. د.خليفة بن عربيّ، عضو هيئة التّدريس بقسم اللّغة العربيّة والدّراسات الإسلاميّة بكليّة الآداب بجامعة البحرين. [↑](#endnote-ref-1)
2. غاستون بلاشار، جماليّات المكان، ترجمة غالب ملسا، المؤسّسة الجامعيّة للنّشر والدّراسة والتّوزيع، بيروت، لبنان، الطّبعة الثّانية، 1404هـ/1984م، ص: 39-40 [↑](#endnote-ref-2)
3. محي الدّين بن عربيّ: الفتوحات المكيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 3/110. [↑](#endnote-ref-3)
4. بلاشار، جماليّات المكان، ص:36. [↑](#endnote-ref-4)
5. فريدة نعمان: شعريّة المكان عند عزّ الدّين مناصرة، مجلّة علامات، العدد 36، يناير 2011، ص:143. [↑](#endnote-ref-5)
6. حبيب الصّايغ: الأعمال الشّعريّة، اتّحاد كُتّاب والأدباء الإمارات، الطّبعة الأولى 1433هـ/2012م، 2/267-268. [↑](#endnote-ref-6)
7. السّابق، 2/248 [↑](#endnote-ref-7)
8. السّابق، 2/251 [↑](#endnote-ref-8)
9. خليفة بن عربيّ: الاتّجاهات النّقديّة في الشّعر الخليجيّ الحديث، مؤسّسة عبدالعزيز سعود البابطين، الكويت، الطّبعة الثّانية، 2018، ص: 116. [↑](#endnote-ref-9)
10. الرّوم: 21. [↑](#endnote-ref-10)
11. حبيب الصّايغ: الأعمال الشّعريّة، 2/249 [↑](#endnote-ref-11)
12. السّابق، 2/252 [↑](#endnote-ref-12)
13. السّابق، 2/253 [↑](#endnote-ref-13)
14. أحمد بلحاج آية وارهام: دلالات الماء في شعر عبد الكريم الطّبّال، مجلّة عنود النّدّ، العدد 90: 2013/12. [↑](#endnote-ref-14)
15. علويّ الهاشميّ: ما قالته النّخلة للبحر.. دراسة للشّعر الحديث في البحرين، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، الطّبعة الثّانية، 1994م، ص:80. [↑](#endnote-ref-15)
16. حبيب الصّايغ: الأعمال الشّعريّة، 2/250 [↑](#endnote-ref-16)
17. هربت ريد: معنى الفنّ، ترجمة سامي خشبة ومرااجعة مصطفى حبيب، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 2998م، ص: 112. [↑](#endnote-ref-17)